تراتيل طينية

علاء صالح المسعودي

«١»

في الغاب أنزلني الإلهُ متيّماً
بحصاره الداجي كأني المستتبُ
لساريات الليل، أحمل
جرّتي لم أدرِ أني سوف
أملؤها بأعواد الكباريت
التي يدنو القِطافُ بها
بمقترب الصَباح.. وخلف
ظهري قدحةٌ: من شوقها
أشعلتُ نيران القصيدة،
لن يحُزَّ الليّلُ ذاكرتي التي
اعتادت بطَلْق عنانها للأجنحهْ
للضوء للأنسامِ للطَرْق
الذي أبداً يزور الأضرحهْ.

«٢»

في الغاب أنزَلني الإلهُ
وأُنزِلَت معي الإشاراتُ
التي التمعت على جذْعِ الخليقة
كي أجُرَّ النبع من خَلفي...
وأوصِلهُ بذاك النبعِ...
أطلعُ مرةً، في الغاب من شجَرٍ
ومن طين، ومن كَدَرٍ..
فأطلع مرَّةً حُلْوَ الجبين،
ورُبّ ساعةٍ أن يمرَّ بي
الشحوب، أرى القطافَ
يطولُ من وصلي، وهُمْ
صَحبي الذين تخلّلوني
يشترون الفوزَ بالتعب
المؤقّ من هلاكي.. غير
أن الشمس إن طلعت
يظلُّ بها النشيشُ المستقيمُ
لكلّ معضلةٍ، ومحضِ
مصادفهْ.
فلربمّا يحوي جراحاً
خَضّرت وجعاً، ويحوي
جرَّتي العطشىٰ.. فزندي
ذا يجرِّحُني وجرحي نَزّ من
ألمٍ خفيٍّ من بقيَّة قاذفهْ.

«٣»

هو قال: حدَّثني الرصاصُ
عن السراديبِ التي انطفأت
.. وعن مَلكٍ ومتملكةٍ...
هناك الحكَمُ يبدأ أوّل
العتبات، لا خوفاً.. ولا
مجداً... فإنك لشاهدٌ
وبسُرّة التكوين من يومِ
الولادة وحدكَ المدثور
.. راح الطينُ راحْ.
لجميل زندي ذا غدا وجعِ
الأريكة مستباحاً، والمرارةُ
بي تنزُّ.. فليت طائرنا
يجيءُ مع الصباح.. وليت
أن الراح يأتي، غير أن
الراحَ راحْ.
وتصيرُ مشنقتي خطاي
مع الغروبِ أصيرُ صوب
المشرحهْ».

«٤»

وأنا العنيدُ الرَّخْوُ، حشّدتُ
القوىٰ التعبىٰ لكي أنأىٰ
بخلْوِ منالِيَ المتوهج الإشراق
لكنَّ المنال الريم غابَ
ولن يجيء، أنا العنيد الرخْوُ
.. ها أنا ذا البعيدُ، ألا
أجيءُ؟! أنا المقيمُ جنازتي
بدءُ الحِداد.
البومُ ينعَقُ، والخرابُ يحلُّ
في طاسي إلهاً من رماد.
فملاكُ ذاكرتي المحلِّقُ
من رماد الأمكنهْ
طفلاً حوتهُ الأزمنه
فأنا المجيرُ وأستجير
بباحةٍ في القلب.. هل
بُعِثَ السراجُ لترمشَ
العين الرتاجَ من السماء
شموسَ هذا الطين؟..
أم ها أنني المهزومُ خلف
اللامكان، فحين لوِّح لي
اتكأتُ على رقيق الغصن
ولهاناً صغيراً وانكسرتُ
.. وحين أعددتُ المخيَّلةَ
التي تعبت، بلغتُ أشدَّ
ما سردَ اليراع الحُرُّ
لكني انثلمتُ.. وحين
أذرفتُ الدموعَ محابراً..
أيقنت ساعتها: بأني
كنتُ أسبَحُ في العبارةِ
صَوبَ ذاكرةِ الرقادِ،
أملِمُ الأحجام والأجسامَ
في العهَد المواتي، في
تُراث البارحهْ.

«٥»

الآن حمحمةُ المهاري في
البِطاحْ
يَندُبْن أن الراح راحْ
الآن تنطلقُ الحناجرُ بالصياح
تتكسّرُ الطرُقاتُ تحتَ
حوافر الخيل الصهيلة بالجموع
يشدُّها شفقُ المفاجأة
الأفولُ، وراء تلّتها
المدينةُ، سامعاً ناياً
يُرّتلُ آخر الصلواتِ..
أنفخُ بالعروس وبالوشاح
محابري، الأشباحُ تسِكُ
أمرَ هذيْ الخيلِ، تُمسِكُ
أمرَ هٰذا الشارعِ المخبول
.. بالشفق المسافر للذهول
الآن تنبترُ الفصولُ ولا
مفرَّ من البطاح حوافزٌ شُقَّت
وزمَّارٌ توسَّم بالسكوتِ
كما اتفق.
فالطين مزدحمُ الشفقْ.
نَمْ واسترحْ.. فالطرق
ألبسنا الحناجرَ طالعين إليكَ
من شغفٍ... فأنتَ التاجُ
أنتَ سِراجُ هٰذا الطينِ
نَمْ... نَمْ واسترح...
فعرفتُ أنكَ أنتَ من
زكّىٰ تراب المذبحَهْ.
ها أنتَ من طرقَ
الرتاجَ لِسُلمَّ الأبراج
تعلو كالسراج.. تضيءُ
صَحْنَ الأضرحَهْ.

بغداد